

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية

العشائر العراقية وأثرها على النظام السياسي العراقي

بحث تقدم به الطالب (علي سالم عبد الحسين) كجزء من نيل شهادة
البكالوريوس في العلوم السياسية

بإشراف

أ.م.د (زينب عبد الله)

٢٠١٦م

١٤٣٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ

مُخَلِّقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعَظِيمُ

سورة الحجرات

آية (١٣)

شكر وتقدير

بكل الاحترام و التقدير ، يسرني ان ارفع اصدق و اخلص كلمات
الشكر و العرفان للأستاذة الفاضلة (زينب عبد الله) التي كانت عوناً
لي بعد الله في انجاح مشروع التخرج و الحصول على درجة
البكالوريوس في العلوم السياسية

سائل الله عز وجل ان يحفظها ويسدد خطاها وان يتفضل عليها
بالخير حيث كانت

قائمة المحتويات

الصفحة	العنوان
أ	الاية القرآنية
ب	الاهداء
ج	شكر و تقدير
١	المقدمة

قرار المشرف

اشهد ان اعداد هذ البحث الموسوم بـ(العشائر العراقية و اثرها على النظام السياسي العراقي) قد جرى تحت اشرافي في كلية القانون و العلوم السياسية في جامعة ديالى وهو جزء من نيل شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية

المشرف

ا.م.د. زينب عبد الله

التوقيع

التاريخ ٢٠١٦ / /

أهمية البحث
تنطلق أهمية البحث في كون العشائر من المواضيع المهمة التي جاءت من أجل حل
الأممات التي يمر بها العراق على جميع الأصعدة الاقتصادية والسياسية و
الاجتماعية و التخلص من اثار و تداعيات هذه الأممات .

إشكالية البحث .

تتمثل إشكالية البحث في الاجابه عن التساؤلات المطروحة حول مدى دور
العشائر العراقية في حل الخلافات أو الصراعات الناشئة ؟ ومدا إمكانية العشائر في
تحقيق التعاون ؟

منهجية البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي لوصف دور العشائر في إقامة النظام
السياسي وتأثيرها به وقد استخدمت أيضا المنهج التحليلي لتحليل هذا الدور وما إل
أليه من مخرجات في تأثيرها على النظام السياسي .

هيكلية البحث:

للقوف على أهمية موضوع (العشائر العراقية و اثارها في النظام السياسي) فقد
قسمنا بحثنا هذا إلى مبحثين أساسيين .

حيث تناول المبحث الاول :

اولا . مفهوم العشيرة و النظام السياسي

ثانيا. الاحوال الاجتماعية للعشائر العراقية

واهتم المبحث الثاني :

اولا . العشائر و بناء الدولة

ثانيا. الدور السياسي للعشائر

ثالثا. الاثار المترتبة على سيادة قيم العشيرة

المبحث الاول

المفاهيم والمصطلحات

المطلب الاول: العشيرة و النظام السياسي

اولا : العشيرة

العشيرة وهي عبارة من مجموعة من البشر ينتمون إلى نسب واحد يرجع إلى جد أعلى، وغالبا ما يتكون بكنية هذا الجد، وتتكون من عدة بطون أو من عدة عوائل. غالبا ما يسكن أفراد العشيرة إقليما مشتركا يعدونه وطنًا لهم، ويتحدثون بلهجة مميزة، ولهم ثقافة واحدة، والعشيرة هي المكون الرئيسي للقبيلة، فتحالف عدة عشائر تتكون القبيلة، وشرط العشيرة أن يتكون أفرادها من نسب واحد، بعكس القبيلة، فالقبيلة قد تتكون من عدة عشائر من أنساب واحدة أو من أنساب مختلفة الجد.^(١)

ثانيا - مفهوم العشيرة

العشيرة هي مجموعة من الناس تجمعهم قرابة ونسب فعلي أو متصور. وحتى لو كانت تفاصيل النسب غير معروفة، قد يتم تجمع أعضاء العشيرة حول العضو المؤسس أو السلف الأول. وقد تكون الروابط القائمة على القرابة رمزية،

(١) هشام داود ، "المجتمع والسلطة في العراق المعاصر" ، في المجتمع العراقي حريات سوسيولوجية في الانتثيات والطوائف والطبقات ، (بغداد ، ٢٠٠٦)، ص ٤٢.

حيث تتشارك العشيرة في سلف مشترك "محدد" الذي يُعتبر رمزاً لوحدة العشيرة. ويمكن وصف العشائر على نحو أكثر سهولة بأنها قبائل أو مجموعات فرعية من القبائل. وكلمة عشيرة التي تعني عائلة في اللغة الأيرلندية واللغة الأسكتلندية اللغات الغيلية. وتم إدخال الكلمة في اللغة الإنجليزية عام ١٤٢٥ تقريباً كتسمية للطبيعة القبلية للمجتمع الأيرلندي والمجتمع الغيلي الأسكتلندي. المصطلح الغيلي لكلمة عشيرة هو. وقد سبقت العشائر الكثير من الأشكال المركزية لتنظيم المجتمع والحكومة؛ فهي توجد في كل بلد. ويمكن تحديد الأعضاء بشعار النبالة أو غيره من الرموز لإظهار أنهم عشيرة مستقلة.^(٢)

وفي ثقافات ومواقف مختلفة، قد تعني العشيرة نفس معنى المجموعات الأخرى القائمة على القرابة، مثل القبائل والطبقات والزمرات. وفي كثير من الأحيان، فإن العامل المميز هو أن العشيرة هي جزء أصغر من مجتمع أكبر مثل القبيلة أو المشيخة أو الدولة. ومن الأمثلة على ذلك العشائر الأيرلندية والعشائر الأسكتلندية والعشيرة الصينية والعشائر اليابانية والعشائر الراجبوتية وعشيرة ناير أو عشيرة في الهند وباكستان، التي توجد كمجموعات ذات قرابة داخل دولها. وتجدر الملاحظة، بالرغم من ذلك، أن القبائل والجماعات، يمكن أيضاً أن تكون مكونات من مجتمعات أكبر. وكانت قبائل إسرائيل التوراتية تتألف من العديد من العشائر، العشائر العربية هي مجموعات صغيرة داخل المجتمع العربي.

(٢) عمار يوسف عبد الله عويد العكيدي ، السياسة البريطانية تجاه عشائر العراق ١٩١٤. ١٩٤٥ ،

اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢، ص ٣٥.

وبصرف النظر عن هذه التقاليد التاريخية المختلفة للقرباة، ينشأ التباس مفاهيمي عن الاستخدامات العامة للمصطلح. في بلدان ما بعد مرحلة الاتحاد السوفيتي، على سبيل المثال، فإنه من الشائع جداً التحدث عن "العشائر" في إشارة للشبكات غير الرسمية داخل المجال الاقتصادي والسياسي. ويعكس هذا الاستخدام افتراض أن أعضاء هذه العشائر يعاملون بعضهم بعضاً بطريقة وثيقة بصفة خاصة وداعمة بشكل متبادل بما يعمل على تقارب التضامن بين الأقرباء.^(٣)

وتختلف العشائر البولندية عن معظم العشائر الأخرى حيث إنها مجموعة من العائلات الذين يحملون نفس شعار النبالة، بدلاً من الادعاء بوجود أصل مشترك. يُناقش هذا الموضوع في موضوع أعلام النبلاء البولنديين.

وتميل العشائر في المجتمعات الأصلية إلى كونها متعلقة بالزواج من خارج القبيلة، بمعنى أن أعضائها لا يمكنهم الزواج من بعضهم البعض. وفي بعض المجتمعات، قد يكون للعشائر زعيم رسمي مثل شيخ القبيلة أو بطريك؛ وفي مجتمعات أخرى، يتعين إيجاد مناصب قيادية، أو قد يقول الناس إن "الشيخ" هم الذين يتخذون القرارات. وهناك عدة عشائر ذات صلة وثيقة ببعضها البعض في شبه القارة الهندية، وخاصة جنوب الهند.

(٣) حنا بطاطو ، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،

ج ١ ، ترجمة عفيف الرزاز ، (بيروت ، ١٩٩٠) ، ص ٨٤.

ثانياً: النظام السياسي

النظام السياسي مجموعة عناصر مهمتها الإبقاء على المجتمع من حيث هو كائن حي قائم بذاته، تديره سلطة سياسية.

وهناك من يرى إن النظام السياسي ((مجموعة الأنماط المتداخلة والمتشابكة والمتعلقة بعمليات صنع القرارات والتي تترجم أهداف وخلافات ومنازعات المجتمع من خلال الجسم العقائدي الذي أضفى صفة الشرعية على القوة السياسية فحولها إلى سلطات مقبولة من الجماعات السياسية تمثلت في المؤسسات السياسية))

((والنظام السياسي هو واحد من أنظمة المجتمع الأخرى كالنظام الاقتصادي والنظام القانوني والنظام الثقافي والعناصر التي يتألف منها النظام السياسي هي: التنظيمات السياسية، والقواعد السياسية، والعلاقات السياسية، والوعي السياسي " ويؤثر كل من هذه العناصر في الآخر ويعتمد عليه، كما يمكن ان تعد من عناصر النظام السياسي، مؤسسات الحياة الاجتماعية والجماعات، والقواعد، والوظائف، والأدوار، التي تتفاعل والإدارة السياسية تفاعلاً وثيقاً

ولا جرم ان ثمة جوانب سياسية في سلوك المؤسسات والجماعات والأفراد في زمننا الراهن وتفسير ذلك أن السياسة تؤثر، بمقادير متفاوتة، في كل جوانب حياة الفرد والمجتمع. كالاقتصاد، والثقافة، والأخلاق والأسرة وأسلوب الحياة. ولكن عناصر النظام السياسي بالمعنى المحدد آنفاً، تقتصر على تلك العناصر التي

تتفاعل والسلطة والإدارة تفاعلاً قوياً والتي يؤلف هذا التفاعل سمة مميزة من سماتها.

وإذا كان النظام السياسي احد أنظمة المجتمع، ((فهو يتميز منها بخصائص أهمها:-

أولاً- إن النظام السياسي يتمتع باعلويه. ومؤدى هذا انه يملك السلطة العليا في المجتمع، وبذلك تلزم قراراته المجتمع برمته، كما تلزم أنظمته الأخرى.

ثانياً- إن النظام السياسي يتمتع باستقلال ذاتي نسبي، إذا تحكم العلاقات الواقعة في ضمنه قواعد خاصة، قانونية وسياسية.

ثالثاً- إن تأثير النظام السياسي في المجتمع كله أكثر فاعلية من تأثير أي نظام آخر. ومصدر هذا التأثير تملك النظام السياسي السلطة العليا ومن ثم القدرة على تنظيم طاقات المجتمع.

رابعاً- إن النظام السياسي يتفاعل والأنظمة الأخرى في المجتمع، بالرغم من ممارسته السلطة العليا فيه، ولا تعني هذه السلطة بذاتها انفصال النظام السياسي عن البيئة الاقتصادية- الاجتماعية التي يتحرك فيها، ذلك انه في المال الأخير وليدها فهي أساسه، وهو البناء الذي يقوم عليها.

واستناداً إلى أحكام النظام السياسي وخصائصه، يمكن تحديد وظائفه بانها:

١. تحديد أهداف المجتمع ومهامه.

٢. تعبئة طاقات المجتمع.

٧

٣. دمج العناصر التي يتألف منها المجتمع وتوحيدها.

٤. إضفاء الشرعية على الحياة السياسية نفسها))

إن هناك عدة أنظمة سياسية من حيث ممارسة السلطة وهي بالشكل الآتي:

١. الأنظمة الفردية (المونوقراطية) والمتمثلة بـ ((الملكية المطلقة، والاستبدادية والدكتاتورية)).

٢. الأنظمة الديمقراطية والمتمثلة بـ: "الديمقراطية المباشر، والديمقراطية شبه المباشرة والديمقراطية التمثيلية".

٣. النظام السياسي عند المسلمين

وان الذي يهمنا في هذا البحث بيان النظام السياسي عند المسلمين.

((ان الحديث عن النظام السياسي في الإسلام وتقديم مساهمة فكرية جادة في سبيل تنظيم سياسي للمجتمع وبيان إمكانية وضع تصورات واضحة حول علاقة الحاكم بالمحكوم، وتعبير آخر نظام دولة إسلامية واضحة المعالم، وان هذا الحديث ممتع وضروري ولا سيما في اللحظات الراهنة للأمة التي تشهد غزواً خارجياً على غير صعيد، فضلاً عن كونه يشغل الحيز الأبرز في اهتمامات المسلمين على اختلاف أطيافهم ومذاهبهم وانتماءاتهم. (٤)

(٤) كاظم صالح جواد ، الانضمام السياسي ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٦.

الانتقادات التي تطعن بقدرة الفكر السياسي الإسلامي والمسلمين على بناء منظومتهم الإسلامية في سياق الدولة والحكومة))

وعلى الرغم إن عصرنا الحاضر يشهد تجربة إسلامية فريدة في الحكم ترجمها على
ارض الواقع السيد الخميني رحمه الله عبر نظام الجمهورية الإسلامية في إيران إلا
أن الكثير من النقاش متوصل ويدور حول شكل نظام الحكم في الإسلام وأأسه
ومنطلقاته ومشروعيته وأهدافه و غيرها (٥)

(٥)درويش ابراهيم ، الانضمه السياسيه ، دراسة فلسفية تحليلية ، ج ١ ، ط ٢ ، بغداد ١٩٦٩ ،

ص ٣٣

يمكن القول إن تاريخ أي جماعة بشرية هو تعبير عن الفعل الجمعي في سياقات
ثقافية ذات سمة تراكمية، تورث اجتماعيا فتحدد ملامح هوية تلك الجماعة. وإذا كان

علماء علم الاجتماع يقسمون المجتمعات إلى قسمين رئيسيين، المجتمعات الثابتة والمجتمعات النابتة حيث تنتمي البنية المجتمعية العراقية إلى الصنف الأول الذي يتسم بعمقه التاريخي، ففيه مستويات من الوجود تحت ما يظهر على السطح، أبعد مما يبدو للعيان، كما عبر عنها عالم الاجتماع باسكر، وهذه المستويات التحتية ذات أهمية خاصة لأنها تستطيع أن تفسر ما هو باد لنا.

أن العراق في مطلع القرن العشرين لم يكن شعبا واحدا أو جماعة سياسية واحدة بل توجد فيه الأقليات الذين يشكلون مجتمعات متميزة ومختلفة رغم تمتعهم بسمات مشتركة، فالعراق كان جزءا من الإمبراطورية العثمانية، ولم تكن فيه سلطة سياسية وطنية، أما شعبه فقد كان موحدا ،وهذا ما حدث عند اشتراك العراقيين بمختلف فئاتهم وطبقاتهم في مواجهة الاحتلال الإنجليزي للعراق (١٩٠٤-١٩١٨). وحالة المقاومة التي وصلت ذروتها في ثورة العشرين وفي هذا الإطار يؤكد الدكتور علي الوردي، أن ثورة العشرين كانت تعبيرا عن الافعال والتضامن الشعبي وهو بالتأكيد تعبير عن تأريخ من مشاعر الانتماء ، كان العراقيون جميعا بمختلف فئاتهم وطبقاتهم يهتفون "يحيا الوطن"، وهذا يجسد انتماء مشتركا إلى مجتمع واحد .

تميز العراق بتعدد العشائر العراقية والذين يمثلون أطراف الشعب العراقي من عرب واكراد وتركمان وديانات متعددة فمنهم المسلمون بطانفتي الشيعية والسنية

والمسيحيين وغيرهم ، ومن ابرز العشائر هي البوعامر عشيرة وهي من ضمن العشائر العراقية المعروفة ضمن التاريخ، وعلاقتها مع العشائر الأخرى سواء في الجنوب أو في الشمال أو الوسط انتشرت بمواقفها الطيبة مع العشائر الأخرى، ومع

العراق وأبناء العراق، وما قدموا للعراق من خدمة وإصلاح وتضحية في كل المجالات، اما عشيرة شمّر في الموصل محافظة نينوى، ممتدة بالمنطقة جنوب المنطقة الغربية، وفي جنوب العراق وهذا ما نراه ان معظم سكان جنوب العراق هم من عشيرة شمّر ، وكذلك عشيرة الخزاعل في الديوانية والتي يشهد لها التاريخ لمواقفها البطولية على مدى التاريخ وأخرها عندما اعلنت ، براءتها من وزير الدفاع العراقي حازم شعلان المعين من قبل الاحتلال الامريكي منه بعد موقفه المساند للقوات الامريكية التي قصفت اهالي النجف ، وهذا الموقف يؤكد على رفض عشيرة الخزاعل الاحتلال والمقاومة ضده ، وكانت العشائر العراقية ممثلة باتحادات القبائل كاتحاد الخزاعل واتحاد المنتفك واتحاد بني لام، إضافة إلى عشائر ربيعة وتميم وزيد وبني أسد وغيرها. قد لعبت ومنذ بداية القرن السابع عشر الميلادي تقريباً الدور الرئيسي والحيوي في تأريخ العراق الحديث، حيث أنها وبسبب غياب الدولة العراقية مثلت العراقيين المعروفين وعبر تاريخهم الطويل الذي يمتد لأكثر من ثلاثة آلاف سنة، بنزوعهم للحرية ورفضهم للاحتلال والتسلط الأجنبي والعبودية، والذي أضاف له الإسلام العقيدة الإيمانية الراسخة والواجب الشرعي في الجهاد وحب الشهادة.^(٦)

ولكل عشيرة يديرها أكبر الرجال سناً وأحكمهم عقلاً يسمى " شيخ العشيرة" ولكل عشيرة عاداتها وتقاليدها وثقافتها التي نشأت بها والتي استحدثتها من قوميتها وعقيدتها الدينية ، اضافة ان لكل عشيرة سياسة خاصة بها لتسير امورها في حل النزاعات والخلافات التي تحدث. وللعشائر العراقية كان لها في الماضي دور مشهود

(٦) هشام داود ، "المجتمع والسلطة في العراق المعاصر" ، في المجتمع العراقي حفريات سوسيولوجية في،

ومعروف في المجتمع، وكان يحسب لها حسابات كثيرة، وسيظل هذا الدور للعشائر قائم حتى الآن وفي المستقبل، لأن كثير من المشاكل الاجتماعية قد لا يحلها القانون، أو قد يحلها القانون ولكن تبقى عليها معلقة كثيرة كالدية والمنازعات الأخرى، كانت هذه تُحل عن طريق شيخ العشيرة، ولا تزال إلى حد الآن، يعني رغم التطور الحضاري والقانوني إلا أن التقاليد والأعراف العشائرية موجودة إلى الآن ، ولا يمكن إهمال دور كل قبيلة من قبائل العراق أو من عشائره في الحالة الاجتماعية أو في المستقبل السياسي للعراق.^(٧)

المجتمعات في العادة تبدأ من البداوة الراحلة في الصحارى واعالي الجبال ممتهين الزراعة والري كمجتمعات بدائية وعلى نظرية الفيلسوف الاوربي "تيومبي" من ان الشعوب تلد في مناخ كما يلد الطفل من رحم أمه وكما يمر الانسان بدور الطفولة والشباب والكهولة والعجز ثم يضمحل ليذهب الى التراب كذلك الشعوب ، ويعطي هذا العالم أمثلة على قيام الامبراطورية الرومانية كيف نشأت وترعرعت وقوية وأصبحت مترامية الاطراف ثم وهنت وضعفت وذهبت الى بحر الماضي كما ذهبت الامبراطورية الساسانية والفارسية وأضمحلت بعد عظمة وترك تاريخها يحكي الزمن ، هكذا ينطبق على العراق اذ ان الاحتلال العثماني أرجع عظمة العراق وحضارته الكلدانية والاشورية الى حالة الاولى الزراعية خاصة بعد موجة الطاعون الذي هلك بها الملايين ولما ذهب ظلم العثمانيون وتشكلت الحكومة العراقية على زمن المغفور

(٧) غسان العطية ، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ . ١٩٢١ ، ترجمة عطا عبد الوهاب، (لندن ، ١٩٨٨)، ص ٥٤.

له فيصل الاول بدأت تتشكل معالم حضارة مدنية برع الملك فيصل الاول في تأسيس المؤسسات القانونية الدستورية الوطنية فانشئ الجيش من اولاد شيوخ العشائر وشكل القضاء من عراقيين درسوا في الخارج وأنشئوا كلية الحقوق ودار المعلمين وغيرها من المؤسسات التي تحتاجها الحضارة المتزامنة مع الوقت ، هذه الحالة واجهت تيار عشائري كان الناس يرجعون الى حل مشاكلهم عن طريق مشايخه ولا بد ان تكون هذه العشائر تملك انتماءً طائفيًا فتجد ان الفرات الاعلى تواجد على ضفافه عشائر أكثريتها شيعية ولكن لا يمنع هذا من تواجد عشائر سنية متلاحمة معها متمازجة ومتداخلة بشكل عضوي بالتزاوج والانتساب.^(٨)

اضطرت السلطة الوطنية في عهد الانتداب وشرعت قانون العشائر وهذا القانون فيه الكثير من اثار الخيمة العربية العشائرية وتراثهم وحضارتهم وتوارث اعرافهم فيها بينهم فكان هناك قواعد قاعدة الفصل وقاعدة الدية وقاعدة المشاية لعقد الصلح وقاعدة تعويض والتي تصل بعضاً ان تعطي النساء كعملة للتعويض. نعم، نحن مجتمع إسلامي، وان رئيس عشيرة هو رأس الحكمة وهو مخافة الله بما يحكم إلا بالعدل والإنصاف، ويبتعد عن هواه وتعصبه وانحيازه ، وان هناك مقالة "رجل الدين وشيخ العشيرة يجب أن يكونون للجميع" إذا ما كانوا للجميع، ما تتصف بهم صفات علماء الدين ولا صفات رجال العشائر أو شيوخ العشائر ويكون قدوة، وهذا القدوة يجب أن يمحي عواطفه ويمحي تحيزاته وتكتلاته، يكون للجميع لتوحيد الشعب وبناء

^(٨) فاخر قاسم ، "اسباب واثار انبعاث العشائرية في العراق " ، بحث منشور على شبكة الانترنت على الموقع

حضارة واستقرار الشعب ويدعم الوحدة الوطنية، ويدعم التوافق والتآلف بين الشعب بشكل عام.

هذا لم يكن ينسجم مع الدعوة الملكية لتحضير المجتمع العراقي فتخذت الخطوة الاولى التي تقول ان شيخ العشيرة لا تصل للفصل بين عشيرتين او بيتين وانما تكون مجلس تحكيم من أجل ذلك ولكن القرار بيد قائمقام او المتصرف وفق خط مرسوم من قبل المشرع العراقي،^(٩) واستمرت الحالة وكثر عدد المثقفين وبما فيهم ابناء العشائر وشيوخهم وذهبوا بسفريات متعددة خارج الوطن وتطور الناس خاصة في الحواضر والمدن وبالاخص بغداد مما ابتعد الناس عن الاحتكام الى قانون العشائر ووجدوا ان اللجوء الى القضاء الذي أصبح قوياً بدل الذهاب الى النفوذ العشائري ان الحكومات المتعاقبة في العراق لم تألوا جهداً في محاولة تقليص هذا النفوذ العشائري الذي يشكل ثقلًا في الموازين السياسية وكم من ثورة عشائرية حصلت وكم من حركات تأديبية عسكرية قام بها نوري السعيد واعوانه حتى وان كانوا ممثلين بشكل واسع وهم يشكلون الاكثرية ولم تتجح الاقلية في الوصول الى المجلس في سياسة نوري سعيد الا في سنة ١٩٣٦ يوم دخل المجلس جعفر ابو التمن وكامل الجادرجي وذيبيان الغبان وعيسى طه وغيرهم من الوجوه الوطنية المعارضة ومع قلة عدد هؤلاء الوجوه كان نوري سعيد لا يطبق مواجهة في المجلس فكانوا يغردون خارج سرب المدرسة السعيدية ، في سنة ١٩٥٨ حصلت ثورة عبد الكريم قاسم في ١٤ تموز

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٦

وحققت هذه الثورة مكاسب غيرت مسيرة مستقبله ، انها اخرجت العراق من النفوذ
الاسترليني وحررت نقده من التبعية الموجودة.

انها انتهت ميثاق حلف بغداد.

انها أصدرت قانون الاصلاح الزراعي الذي قلص نفوذ العشائر.

اذ ان نفوذ شيخ العشيرة من أرض وفي خصوبتها ونتاجها وكان بلاسم الياسين في
الحي شيخاً متنفذاً سياسياً وكذلك الشيخ محمد العربي في العمارة والشيخ محمد
ربيعة في الكوت ، اقتنعوا بان هذا القرار قوض ثقلهم السياسي ، وجاءت فترة صدام
حسين وهذا الرئيس السابق وان كان يدعي العلمانية ولكن كان يتعامل مع الحزب
والسلطة بعقلية عشائرية واخذ يستبد على عشيرته وتكريت بالذات لدعم مواقفه
وبطشه ،^(١٠) وكان غير مستقر في طروحاته يوماً ، يصر على المواطنين ان
يذكروا اسمائهم الثلاثية واسم عشيرة انتمائهم، ان ابناء العشائر العراقية هم اكثر
المتضررين من الظروف المأساوية التي عاشها الوطن بسبب الممارسات القمعية
التي ينتهجها النظام السابق المتسلط ضد ابناء الشعب العراقي عموماً وابناء
العشائر خصوصاً. فقد حارب النظام كافة القيم والعادات الحميدة المتوارثة وخصوصاً
عند العشائر والتي هي قيم منذ نشوء اول حضارة على ارض الرافدين جنباً الى جنب
مع المفاهيم المتحضرة، لتتصهر معاً في بناء دولة عصرية.

^(١٠) عبد الرزاق الهلالي ، الريف والاصلاح الزراعي في العراق ، (بغداد ، ١٩٦٠) ، ص ١٢٤.

دخل الامريكان العراق وضاع العراق وضاع أمنه وضاع قضائه فاضطر الناس للرجوع الى عشيرتهم وأصبح رؤساء العشائر هم ذوي النفوذ والقرار ..! ، الان امام هذه الحالة أعتقد ان نفوذ العشائر السياسي تنامي وزاد الاف المرات واصبح للعشائر ثقلاً سياسياً وأصبح للرؤساء منهم مجلس العشائر ، المهم هذا هو الواقع ويجب ان نتعايش ونتعامل معه ، ان العشائر وخاصة العربية الانتماء ربطت مصيرها لتخليص العراق والابتعاد عن الطائفية

المبحث الثاني

المطلب الاول

العشائر و بناء الدولة

ادت العشائر دورا واضحا في الحياة السياسية العراقية وقد سبق هذا الدور الوجود القانوني للدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١ لفترات سحيقة وقد سبق و اشرنا الى ان السلطه الاجتماعيه كانت قد وجدت في العراق القديم في عصور ما قبل التاريخ وربما يمكن القول تاسيسا على هذا وعلى وجه يقرب الى الدقه انها وجدة في العصور التي كانت على وجه يقرب الى الدقة انها وجدة في العصور التي كانت فيها القبيله التي تمثل قاعدتها الاجتماعية تمثل الوحدة الاجتماعيه الاساسية ان هنري فرانكفورت يربط ما بين القبيلة و الديمقراطية القديمة التي عرفها العراق القديم حيث يقول ان الشيوخ الذين كانوا مكلفين بادارة الشؤون العامة المتعلقة بالوحدات الاجتماعية الخاصة بهم لم يكونو مجرد اعضاء ذوي نفوذ داخل هذه الوحدات وانما كانوا كذلك رؤساء عشائر ذلك لانهم كانت تتم الاشاره اليهم باللفظة السومرية (ابا) التي تعني الاب فانهم كانوا يمثلون همزة الوصل مع الديمقراطية البدائية و التنظيم الاول للمجتمع و الذي اتخذ بالجواهر شكلا عائليا او عشائريا قائم على اساس من القرابة فالديمقراطية البدائية قرينة الوحدة العائلية او العشائرية و القائمة على اساس من القرابة (١)

وعلى الرغم من تطور المجتمعات و تغير انماطها السلوكية و الفكرية بفعل حركة التاريخ و تطور العلوم و الفنون الا ان ذلك ينعكس على العشيرة في العراق من ناحية دورها السياسي ففي العصور الحديثة من تاريخ العراق و تحديدا في العهد العثماني نجد ان العشيرة مثلت تحدين حقيقيا للحكومة العثمانية كان العداء شديدا بينهما وكثيرا ما كانت المعارك الدامية تنشب بينهما فيكون النصر للعثمانيين تارة وللعشائر تارة اخرى ولاضعاف العشائر سارت الحكومة العثمانية على سياست تشجيع النزاع و التنافس بين العشائر لكي لا يتفقو ضدها على طريقة فرق تسد وكان من نتائج هذه السياسه ان كثرة المنازعات و المعارك بين العشائر واطرب الامن وشاع قطع الطرق وفرض الاتاوه وبالنهاية ازداد نفوذ العشائر ولم يضعف فكان على العثمانيين ايجاد اساليب جديدة

(١) حليم بركات ، الهوية ازمة الحداثة و الوعي التقليدي ، ج١ ، رياض الريس للكتب و النشر بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٦٩

وكان الاسلوب الجديد قدمه الوالي العثماني مدحت باشا الذي قدم الى العراق سنة ١٨٦٩ حكم في ثلاث سنوات و ٢١ يوما وكان اسلوبه يقوم على مبداء ضعاف العشائر عن طريق تشجيعها على الاستقرار و الزراعة وترك العنف وفي سبيل ذلك اتخذ مجموعة من التدابير الايجابية ومنها تحويل ابناء القبائل الى مواطنين لتوفير سبل العيش و تحسين وسائل الري وذلك عن طريق تفويض الاراضي الاميريه بطريقت التملك للمزارعين بالطابو الا ان الجهاز الحكومي الذي اوكلت له مهمة تسجيل الاراضي لم يكن وافيا بالمقصود بسبب الرشوا و المحسوبية وبسبب مسح الاراضي وتقسيمها و تسجيلها واخيرا عدم اقبال افراد العشائر خوفا من الجزية والضرائب (٢).

وعندما احتل الانكليز العراق سارو على سياسة اخرى اتجاه العشائر هي سياسة توحيد العشائر بدل تشتيتها وقد اتبع السياسة التي كان قد اتبعها السير روبرت ساندمان في بلوجستان ومؤدى هذه الطريقة اختيار شيخ لكل منطقة من مناطق العراق او كل عشيرة كبيرة وتدعيم هذ الشيخ بالمال والنفوذ و بالسلاح عند الحاجة لكي يكون مسؤولا على الامن والنظام في منطقة وبذا تنشأ منفعة متبادله بين الانكليز وهذا الشيخ المختار فهم من جانبهم يحصرون السلطة في يده ويفضلونه على منافسيه في المعاملة ويخففون عنه عبئ الضرائب وهو من جانبه يقوم بتنفيذ ما يأمرونه بهي ويحمي مصالحهم (٣) لقد كان لهذه السياسة البريطانية اثرها الواضح في ازدياد قوة العشيرة ودورها السياسي .

و بوسعنا ان نحدد مظاهر لهذا الدور بالاتي .

١- الدور القضائي للعشائر تمثل هذا الدور في ممارسة رؤساء العشائر سلطة القضاء والحكم في القضايا والمنازعات التي تنشئ في منطقتهم العشائرية فمن اجل دعم سلطات العشائر قام هرسي دويس بوضع نضام دعاوي العشائر المدني و الجزائية على نمط نضام الحدود الهندي فاصدر في شباط ١٩١٦

(٢) عبد الجليل الطاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨

(٣) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٥ ، ط ٢ ، دار الراشد بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٧ .

وقد منح هذا النضام السلطة للحكام السياسيين لتشكيل مجلس عشائري او أي هيئة تحكيمه ليحكم بموجب العادات العشائرية في جميع القضايا التي فيها احد المتنازعين من ابناء العشائر (٤).

وتعزيزان و تكريسا لمقام العشيرة في القضاء انفرد العراق من بين الدول العربية في تشكيله محكمة للتمييز العشائرية سنة ١٩٥١ فقد كان المرجع الذي تميز عنده الدعاوي قبل سنة ١٩٥١ وزير الداخلية وتحكم محكمة التمييز العشائرية يترأسها احد حكام التمييز المدني وعضوية اثنين من كبار موظفي الدولة الحقوقيين ممن لهم خبره الاداريه و يعين الاعضاء فيها لمدة ثلاث سنوات و تشبه محكمة التمييز العشائري من حيث قطعية قراراتها المحاكم المدنية (٥) .

وقد اثبت نضام بانه متفق مع رغبات العشائر لانه يلهم حسم المنازعات بالطرق المالوفة عندهم منذ مده طويلة ومنح الاراء و القيم العشائرية اهمية كما رفع من اهمية رؤساء العشائر بمنحهم مكانه معترف بها في النضام السياسي و القانوني (٦) .

٢- الدور الاستقلالي التحرري للعشائر يتجلى هذا الدور بشكل كبير في الثورة الاستقلالية عزيمة الشان ثورة العشرين . فقد انطلقت شرارة الثورة في مدينة الرميثة في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠ وكانت الساحة الرئيسية للثورة هي الفرات الاوسط (٧) .

- (٤) فيليب ايرلاند ، العراق دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة جعفر الخياط ، ط ٢ ، دار ميزو بوتايما للطباعة و النشر و التوزيع.
- (٥) عبد الجليل الطاهر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٨ .
- (٦) فيليب ايرلاند ، المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
- (٧) وميض جمال عمر نضمي ، الجذور السياسية و الفكرية و الاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، ط ٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٦ ، ص ٣٨٦ .

وقادت اتعراق هجمات متصاعدة على القوات البريطانية وفي هذ كوتلوف شاركت قبائل الفرات الاوسط بقصد وافر في الحركة التحررية في البلاد لما لهذه القبائل من خبره غنية في النضال ضد محاولات الاقطاعيين و السلطات التركية من الاستحواذ على اراضي الفلاحين و اتجهت تلك القبائل الى توحيد منضماتها العسكرية التي استخمت زمنا طويلا في مصلحت رؤساء القبائل الا انها اصبحت مضهرا من مظاهر الاتجاهات الفكرية للقبائل (٨) .

صارت القبائل تنال النصر تلو النصر على القوات الانكليزية في بداية الثورة وكان كل نصر تناله العشائر يؤدي الى تشجيع عشائر اخرا الى الالتحاق بالثورة اصبحت العشائر في مختلف انحاء العراق تطمح ان تنال مثل ما نالته عشائر الفرات الاوسط من نصر عظيم و بدأ عمت الثورة في مختلف انحاء العراق (٩) .

ومهما تنوعت وتعددت الاراء بصدد طبيعة الثورة الا ان القتال الحقيقي هو المظهر الاكثر عشائرية للثورة (١٠) .

على الرغم من فشل الثورة عسكريا الا انها ابرزت نضج الوعي الوطني لابناء العشائر وتحملهم الدور البارز في قتال الانكليز فهم قادة الثورة كما اثبتت الثورة صعوبة ادارة بريطانيا للعراق بالاسلوب العسكري الصارم المباشر مما اطرها الى تغيير سياستها اتجاه العراق (١١) .

٣- دور العشائر العراقية في البرلمان من المظاهر المهمة لتعاظم دور العشائر في الحياة السياسية هو الانتخاب رؤساء العشائر لعضويت البرلمان فلم يكن هؤلاء الشيوخ شرف الجلوس في مجلس المبعوثان في العهد العثماني من اصل ٣٤ نائبان كانوا يمثلون العراق في المجلس التركي لم يكن غير نائب منحدر من عائلة مشايخ لكن حتى هذا النائب (عبد المجيد الشاوي) كان من ابناء المدن ولاده وافكار وعلى العكس من هذا فمن اصل ٩٩ عضوا كانوا يشكلون الجمعية التأسيسية العراقية في سنة ١٩٢٤

(٨) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ج ٥ ، ٢ ، المصدر نفسه ، ص ٣٥٨

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠

(١٠) وميض جمال عمر نضمي ، المصدر نفسه ، ص ٣٩١

(١١) عمار يوسف عبدالله ، السياسة البريطانية اتداء عشائر العراق ، ١٩١٤ - ١٩٤٥ ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة و زارت الثقافة ، العراق ٢٠١٣ . ص ٣٢٩

كان هنالك اقل من (٣٤) من المشايخ و الاغوات و تخصيص مثل هذا العدد الكبير من المقاعد لهذه الطبقة كان قد برز على اساس ان المضيف العشائري هو مكان تدريب للمواطنين افضل من المقاهي في المدينة (١٢).

٤- دور العشائر العراقية في النضام الحزبي لقد عرف النشاط الحزبي الكثير من الضواهر التي نشأت نتيجة الممارسات العملية ومنها لجوء اقطاب السلطة الى تاسيس احزاب خاصة بهم لخدمت مصالحهم لقد تميزت تلك الاحزاب بضعف العلاقات التنضيمية و انكماشها عن مزاولة النشاط الجماهيري فليس هناك حافز حقيقي يدفع اعضاء الحزب للتقرب من الجمهور لان الجمهور لا يمثل قيمة حكومية و بالمقابل انكشمت الاوساط الشعبية عن مثل تلك الاحزاب بعد ان لمست تبدل مواقفها وشاهدت على الواقع طغيان المصالح الشخصية على تحركاتها وخطواتها السياسية ومواقفها ازاء الاحداث (١٣).

لقد كان الاعتماد على العشائر بدلا عن المواطن امرا مؤلوا في ذلك الوقت فمن مجموع (٤٦) شخصيه كونت القيادة المؤسسة لحزب الاتحاد الدستوري الذي اسسه نوري سعيد في ٢٤ / ١١ / ١٩٤٩ كان هناك ١٧ عضوان يمثلون رؤساء للعشائر وتكون حزب الامه الاشتراكي الذي اسسه صالح جبر في ٢٤ / ٦ / ١٩٥١ متكتل العشائر الجنوبية على الرغم من وجود الطاغى لانساق العشيره في المشهد السياسى في العهد الملكى الا ان حركة التغيير و التمدن المعاصر التى شهدها المجتمع العراقى فى اواخر ذلك العهد بفعل العصرنه والتحضر قادة ان المجتمع المحلى الكلاسيكى لم يضل محتفزا بتلك الخصائص الثقافيه و النفسىة الساكن الا ان الضربه القاضية تلقا من الاحداث الذى شهدها العراق ١٩٥٨ وقادت الا زوال الملكيه و اعلان الجمهوريه لقد اخذ القاده الجدد بقيادة عبد الكريم قاسم مجموعه من الاجراءات لتهديم البناء العشائري تمثلت فى (١٤)

(١٢) حنا بطاطو ، العراق و الطبقات الاجتماعيه والثورية فى العهد العثمانى حتا قيام الجمهوريه ، ج ١ ، ط ١ ، ترجمة عفيفة الرزاز ، منشورات فرحان ، ايران ، ٢٠٠٥ ، ص ١٢٢
(١٣) حسن شبر ، العمل الحزبى فى العراق ١٩٠٨ ، ١٩٥٠ ، ط ٢ ، دار الشؤون الثقافيه العامة ، وزارة الثقافه العراق ٢٠١٢ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٤
(١٤) عبد الخالق حسين ، ثورة ١٤ تموز العراقيه و عبد الكريم قاسم ، ط ١ ، دار الحصاد للتوزيع و النشر ، لندن ٢٠٠٣ ، ص ٥٥ - ٥٦

١- الغاء قانون دعاوى العشائر وتفويض سلطة رؤساء العشائر و كبار الاقطاعيين على الفلاحين الذين يشكلون حوالي ٦٠% من السكان
٢- اصدار قانون الاصلاح الزراعي وما ترتب عليه من زوال العلاقات الاقطاعية
٣- تشريع قانون الاحوال الشخصية الذي جرد نضام العشائري واحده من اهم مميزاته وهي سيطرة الرجل وسحق المرأة فالقانون القى بالمساوات بين الرجل والمرأة وهو مبدء لم يكن معروف من قبل .
يصف غالب حسن شابندر ذلك بقوله (لقد سجل العشائريون حضورهم لدا الدولة بشكل طاغى و مهيمن فى حين تراجع دور المثقفين لدا الدولة بشكل واضح مزرى و الحراك الذى مقراطى الذى ينبغى ان يكون مدنيا بالدرجة الاولى خضع بشكل مذل للعشيرة

لقد صارت العملية الديمقراطية رهن ارادة العشيرة وقد اصبح الصوت العشائري رقما حاسما في تثبيت النتائج صندوق الاقتراع صار ضحية الصوت العشائري وليس ضمير الارادة الحرة و التي تتحكم بصندوق الاقتراع (١٥) .
لم يقتصر نفوذ العشيرة على المجالات السياسية و الاجتماعية و القانونية وانما امتدة الى اكثر المكانات حساسه و هو الامن الذي يعد احتكارا حصريا بموجب القانون لصالح الدولة و مثل تاسيس مجالس عشائرية لحفض الامن في بعض المناطق تجسيدا لهذا التوجه و كانت البداية في محافظة الانبار غرب العراق ثم انتشرت في باقي المناطق ومنها العاصمة بغداد حيث اجتمع شيوخ محافظة الانبار الذي رفضوا الانخراط في مشروع القاعدة بتاسيس صحوة الانبار في عمان في ٢٠٠٦/٤/١٩ الذي انبثق عنه مجلس انقاذ الانبار (١٦)

(١٥) عامر حسن فياض ، افكار حول مستقبل العملية السياسية في العراق في مجموعة مؤلفين مراجعات في الدستور العراقي ، مركز عراقيات للدراسات ، شركة الاطلس للطباعة و النشر ، العراق ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٦
(١٦) منتصر العيداني ، قيادات الانتقال و التنمية السياسية ، العراق و لبنان نموذجا ١٩٩٠ - ٢٠١١ ، ط ١ ، دار المعارف للمطبوعات بيروت ، النجف ، ٢٠١٢ - ص ٣٣٢

و بوسعنا تحديد مرحلتين تاريخيتين لنشوء المجالس العشائرية العسكرية (١٧).
١- مجالس العشائر القديمة الذي تاسسة من قبل الجنيرال (ديفيد بيترويس) قائد القوات العسكرية الامريكية في العراق في سنة ٢٠٠٦ وكانت كتائب الحمزة نهاية عام ٢٠٠٥ وهم تنظيم عشائري من عشيرة ابو محل اول تشكيل يتاسس وفي منتصف عام ٢٠٠٦ تم تاسيس تشكيل ثوار الانبار في مناطق الجزيرة الشامية ومركز الرمادي وفي بداية ٢٠٠٧ وحد الشيخ عبد الستار ابو ريشة جمهور هذه التشكيلات تحت اسم مجلس صحوة الانبار وتلقت هذه التدريبات تمويلا و تدريبا امريكا .

٢- مجلس العشائر الجديدة في منتصف عام ٢٠١٣ وبسبب تازم الوضع الامني من جديد بظهور تنظيمات (داعش) قامت لجنة تنفيذ و متابعة المصالح الوطنية وبالتعاون مع دائرة نزع السلاح و قيادة القوة البرية و جهاز الامن الوطني لتاسيس يعرف بالصحوة الجديدة في مناطق شرق الانبار و غرب الفلوجة و غرب الرمادي و بعد ذلك تم توسيعه ليشمل مناطق حزام بغداد وتتلقى هذه التشكيلات تمويلا و تدريبا حكوميا .

ان توسع العشيرة و تمددها في العراق بعد عام ٢٠٠٣ مرده عوامل اهمها (١٨).
١- غياب الدولة و ضعفها وهو من اهم العوامل واشدها خطورة الدولة التي لا تقوا على امن مواطنيها ولا تقوى على حماية ممتلكاتها و لا تقوى على تسوية مشاكلهم مثل هذه الدولة تظفر الناس ان تبحث عن حام و عن ضامن و عن ملجأ وليس كا العشيرة في مثل هذه الاحوال ضامن و ملجأ و حاميا.

٢- ونمط الانتاج الزراعي المتخلف ضعف البنية الصناعية و قبل هذا و ذلك الحياة الرعوية كل ذلك ينتج العشائرية نمطا اجتماعيا كل ذلك يسهم في تكريس العشيرة

وحدة اجتماعية منغلقة مسدودة الى زعيم واحد وفق اعراف و تقاليد لا تختلف كثيرا بين عشيرة و اخرى .

٣- غياب النظام السياسي الواضح المعالم ذي الاتجاه المدني فا نظام السياسي العراقي غارق في صراعات شخصية و مصلحة و القيم العشائرية فيه تتصادم مع المدنيين و القيم السياسية الديمقراطية و مفاهيم المجتمع المدني .

(١٧) هاشم الهاشمي، عالم داعش من النشأة الى اعلان الخلافة ، ط ١ ، لندن ، ٢٠١٥ ، ص ١٢٤ - ١٢٥

(١٨) غالب حسن الشامندر ، مصدر نفسه ، ص ١٦ - ٢٦ .

٤- للوصول الى السلطة و امتيازاتها الخيالية دفع السياسيين العراقيين الى افساد العشيرة حولوها الى قائمه انتخابيه و دعائية جعلو منها مادة استفاده و استغلال بدل ان يتوجه والى قائمت الاندماج الاجتماعي وتدعيم البنية الاجتماعية راحو يساومون اهلها و زعمائها بالمال و السلاح و الوثائق المدنية و العسكرية والولائم و السيارات مقابل اعطاء الصوت الانتخابي .

بعبارة موجزة صارت العشيرة مادة مساومه .

المبحث الثاني

المطلب الثاني

الدور السياسي للعشائر

تشكل العشائر ركنا اساسيا من تركيبة المجتمع العراقي برز دورها بالتاريخ السياسي الحديث ابان ثورة العشرين حيث كان لزعمائها اليد العليا في التصدي للاحتلال البريطاني انذاك و نتيجة لادراك قوات الاحتلال اهمية العشائر العراقية خصوصا في مجال حفظ الامن فقد سعت لكسب ود شيوخ من خلال اصدار قانون دعاوي العشائر الذي عزز سلطتهم القضائية كما قدمت لهم كثير من التسهيلات الاقتصادية و تصاعد دورهم السياسي بشكل اكبر بعد ان شغلوا حوالي ٢٠% من مقاعد اول برلمان عراقي عام ١٩٢٥ (١) وقد تنافست السلطة الملكية مع سلطة الانتداب لكسب ود العشائر وكان الملك يسعا لتعزيز سلطته اتجاه سلطة الانتداب وكان يستخدم شيوخ العشائر و علاقتهو بهم للضغط على سلطة الانتداب ام سلطة الانتداب فكانت تقدم الكثير من التسهيلات و الدعم لشيوخ العشائر لكسبهم الى جانبها (٢) وعلى اثر الكثير من المعتقدات الفكرية و الاجتماعية و النزوح الكبير من الريف الى المدينة وتنامي الوعي الجماهيري و ظهور القوى المدنية المتمثلة بالاحزاب و طبقت العمال و طلبت الجامعات و غيرها اخذت هذه القوى زمام المبادرة في التعبير عن مواقفها السياسية و قربها من مركز صنع القرار السياسي قلل الاعتماد على سلطت شيوخ العشائر و اخذت الحكومات العراقية المتعاقبة تتجاهل هذه القوى لاسيما في اوقات الاستقرار لاكلها تعود و تلجأ اليها مره اخرا عند الوقوع في مطب الازمات مثال ذلك بعد حرب الخليج الثانية على العراق عام ١٩٩١ ونتيجة الحصار الاقتصادي وما ترتب على ذلك من انكماش لاجهزه السلطة تبحث عن وسائل اخرى لتدعيم نفوذها فتوجهت لاستخدام العشائر فقامت بتعزيز دور العشائر من خلال احياء قانون دعاوي العشائر و اعطاء الشيوخ سلطات قضائية من خلال اعتبار الاعراف العشائرية اساسا لحل المنازعات فضلا عن تقديم الدعم المادي كما قامت السلطة بتنصيب العديد من الشيوخ المزعومين واجرت لهم العطاء (٣)

(١) حنو بطاطو ، العراق و الطبقات الاجتماعية الحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام

الجمهورية ، ج ١ ، ترجمة عفيف الرزاز ، بيروت ١٩٩٠ ، ص ١٢١ - ١٢٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٦

(٣) فاخر قاسم ، اسباب و انبعاث العشائرية في العراق ، بحث منشور على الانترنت على

الموقع www.Kiabat.com

تصاعد دور العشائر بشكل كبير بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ فعلى اثر انهيار الدولة و تعطل القانون و انتشار الفوضى و الخوف بين الناس اخذ الناس يبحثون عنمن يوفر لهم الحماية فتفرقو منهم من لجا الى العشيرة ومنهم من لجا الى مرجعية دينية او تشكيلات سياسية او تجمع مدني وسكني (٤) ومن مطلق الشعور بالمسؤولية بدأت العشائر العراقية تتحرك من اجل ملء الفراغ الامني الذي خلفه انهيار الدولة وكان اول عمل قامت به العشائر و الحفاض على ممتلكات الدولة من السراق و المخربين .

و بالفعل تم الحفاض على الكثير من المدارس و المراكز الصحية و غيرها من المؤسسات ولاسيما في الاقضية و النواحي وهذا الامر بدا واضحا كانت الخطوه الثانيه للعشائر هي حاولت تنضيم نفسها من اجل القيام بدور سياسي فبعد اشهر من الاحتلال برزت على السطح عشرات المجالس العشائرية ولاكن هذه المجالس خلت من الشيوخ الكبار ولاكن شيوخها من الفئة المتوسطة و بالمقابل ادركت القوات الاحتلال الامريكي اهمية العشائر في العملية السياسية لذلك سعة من البداية الى تشكيل مكتب الارتباط مع العشائر قام احد العسكريين و اسمه (الن كينغ ALN king) بادارة هذا المكتب (٥)

(٤) عدنان ياسين مصطفى ، الامن الاجتماعي و شبكات الامن الاجتماعي في العراق نحو تنمية تمكينية للدوار التقليديه و الحداثيه ، بحث مقدم الى المؤتمر الثالث لرابطة دراسات العراق المعاصر ، لندن ، ٢٠٠٨ ، ص ٨

(٥) جريدة الشرق الاوسط ، العدد (٩٢١٧) ٢٢ شباط ٢٠٠٤

المبحث الثاني

المطلب الثالث

الاثار المترتبة على سيادة قيم العشيرة

يترتب على سيادة القيم العشائرية بالصورة التي عرضناها جوانب منها فيما تقدم جملة من الاثار هي في حقيقتها تسبب اضرار بها هذه القيم على مفهوم الدولة واطرها المدنية.

١ - ان من اخطر قيم العشيرة واشدها اثرا في الدولة هي الرابطة العصبية والمعروف ان العصبية تقوم اساسا على رابطة النسب وهذا ما يقرره ابن خلدون في غير ما موضع من مقدمته .فهو يقرر ان العصبية انما تكون من الاتحام بالنسب او مافي معناه وذلك لان صلة الرحم طبيعي الا في الاقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد نفسه غضا من ظلم قريبة او العدا علىه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المهالك نزعه طبيعية في البشر منذ كانوا (١) .

٢ - للقيم العشائرية علاقة تنافرية مع الهوية الوطنية الجامعة ، ان العشيرة تبحث دائما عن ارض تكون قاعدة لكيانها أي للانوية الجماعية وتستخدم لذلك وسائل العنف المادي والفكري المتاحة وهذا ما يجعل العشائر الاخرى تنقسم في اضطراعا وفي مقاومتها لمشروع التوحد بالارض بمعنا اخر تصطنع العشيرة لنفسها اقليما تنزع فيه لتحقيق هويتها التاريخية باختلاف عن العشائر الاخرى ان كل عشيرة تبحث بشكل او اخر عن وحدتها الداخلية فتعزل بذلك كما سواها وتختلف عنها بدلا من ان تتالف معها في بحث عن مشروع هوية مشتركة (٢).

(١) صدد نظرية ابن خلدون حول العصبية ينظر علي الوردي منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته، ط ٢، دار كوفان ، لندن ، ١٩٩٤ .

(٢) محمد عابد الجابري ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

٣- ان هيمنت العشيرة على الدولة يؤدي الى غلبة نمط القيادات التقليدية على الدولة تنتمي هذه القيادات الى قبيلة قوية غالبا يرتبط باطار واسع من التحالف مع القبائل المهمة الاخرى على اساس المصاهرة و غيرهما من اجل الوصول الى الصلطة و الاحتفاظ بها وتعمل هذه القيادات على خلق توازنات داخل تحالفها القبلي او بينهم وبين غيره من القبائل عن طريق اثار الانقسامات و الفراغات باستخدام عدة وسائل سياسية اقتصادية الخ من اجل ادامت التحكم بالوضع المسيطر تكتسب هذه القيادات شرعيتها من طابعها المحافظ القائم على اساس الدين و الاعراف و عليه فهي تعارض أي تغيير جذري و تعمل على الحفاظ على الاوضاع الراهنة (٣) .

٤- ان قيام العشيرة يتعارض تعارضا تاما مع مفهوم المواطنه فالمواطنه تحتاج الى فصل الناس او افراد المجتمع عن الروابط و الاطر و العلاقات التقليديه التي تمنعهم من ان يكونوا مواطنين و على ادماجهم في منضومه جديدة من البنى و المؤسسات ذات العلاقه الحديثه و كذلك يحتاج الى قطعيه فكريه و نفسيه مع تلك الاطر و العلاقات التقليديه أن العقلية العشائرية تبرز كمعوق للمواطنه من خلال (٤) .

أ - لتعصب لمن يوافقهم الراي و النسب و يزداد الامر خطوره عندما يتحول التعصب الى حالة الانغلاق المعرفي بحيث يصبح مجرد الانتماء للجماعة (العشيرة) سببا كافيا للعصمه في حين ان عدم الانتماء دافعا للغطاء و الاكثر من ذلك هو اعتبار خطأ الاخر جريمة كبيرة تجعلهم يتخلون عن حسناته مقابل غض الطرف عن كل الاخطاء التي ترتكب باسم العشيرة او القبيلة

ب - السياسه الاقصائيه للدولة العشائرية التي تقوم على اساس التمييز في العطاء و الامتيازات بحيث تؤدي هذه السياسه الى احياء المعايير القائمة على النسب و القرابة و الدم محل الكفاءة و قدره و خبره في الاختيار للوظائف و المناصب .

(٣) محمد عابد الجابري ، مصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .

(٤) بتول حسين علوان و المواطنه في الفكر الاسلامي ، مكتب الغفران للخدمات الطباعيه ، ٢٠١٣ ، ص ٢٥٣ .

٥- ان الدولة التي تهيمن عليها العشيرة هي دولة تقليدية او بدائية انها تنشأ من وحدات موجوده قبل لا تستطيع الغاءها و عليها تقوم بناها الخاصة و تتوصل بصعوبه لفرض سيادة المركز السياسي و تحتفض بطابع منتشر يميزه عن الدولة الحديثه الممركزه و تهددها دائما التجزئه الاقليميه يضاف الى ذلك ان هذا الشكل من النظم السياسية يتطابق مع نموذج النظام الارثي و الذي يعتمد جهاز الحكم و الادارة في على اصحاب المقامات و الوجهاء المتمرسين بلعبة علاقات التبعية اكثر من تمرسهم بالوضيفه (٥)

٦- في المبدأ العام تقدم الدولة كل دولة نفسها استقطاب وحيد لي ممارسة العنف القانوني في المجتمع عنف الدولة له شريعته أي قانونيته لكن عنف الا دولة تحديدا عنف زعماء القبائل من خلال ادواتهم (مهربون مرتشون ميليشيات) له مشروعيتها القامة على حق القبيلة في المعارضه و الاحتجاج و المطالبه وهكذا في سبيل الاختلاف على وحدانية الدولة كا محتكر وحيد للعنف الشرعي يجري انتاج خصوصيات عنيفه تماثل خصوصيات الانقسام الاجتماعي ذاته ولا غرايه اذا في ان تؤدي الثقافه الفرعيه الى انتاج عنف فرعي (حرب فرعية) في مجتمع تحكمه بني القهر المتبادل (العنف في الاعراس في المآتم العنف في الطرقات العنف في الانتخابات العنف في المدارس الخ) واذا وصل زعيم القبيلة الى السلطه معناه نقل العنف الخاص الى العنف العام وهكذا يتحول شيء من العنف الشعبي الى عنف رسمي وفي حال عدم وصول هؤلاء الزعماء او بعضهم الى مراكز الدوله يتحول العنف ضد الدوله فيتبلور العنف الخاص كعنف مضاد لعنف الدوله وترتدي المعارضه رداء العنف الاهلي في مواجهه العنف الرسمي (٦) .

٧- يهيمن على العشيره مفهوم الماضي و الاعتزاز به وهوا قوى معوقه امام سلامة التنمية اذ اغلب اعضاء المجتمع التقليدي يؤكدون على الماضي و الاعتزاز بالحيات التقليدية نضرا لوجود روابط تشدهم الى ذلك مثل الاعتزاز بالروابط النسبية .

(٥) جورج بالانديا ، الانثر بولوجية السياسية ، ترجمة علي المصري ، ط٢ ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص١٨٣

(٦) خليل احمد خليل ، مصدر نفسه ، ص٢٩٢ - ٢٩٣

ان مفهوم الحاضر و المستقبل لا يلعبان دورا رئيسيا في تفكيرهم على اعتبار ان طبيعة الحيات التقليدية المألوفة و الاعتزاز بها يشدهم كثيرا بالماضي و مآثره أي نزعت الماضي و الاعتزاز به يكون اساسا لتقدير تحديد قيم الاشياء و العلاقات في الوقت الحاضر و كذلك المستقبل و هذه النظرة بلا شك تصادم مع ما ترينه التنمية الاجتماعية و الاقتصادية للوصول الى مستقبل افضل .

٨- سلطة العشيرة تعني سلطة الرجل فا العائلة العربية و منها العراقية هي عائلة ابويه هرميه يقوم التمايز و توزيع العمل فيها على اساس الجنس و العمر فيتسلط الذكر على الانثى و الكبير على الصغير انها في صلب التنظيم الاجتماعي وصوره مصغره للمجتمع و تتشكل حولها وحده المجتمع الاقتصادي و الاجتماعي فيتوارث فيها الافراد و الجماعات و هوايتهم و انتمائتهما الطبقية و الدينية و الثقافية (٧).

(٧) حليم بركات ، الهوية ازمة الحداثة و الوعي التقليدي ، ج ١ ، رياض الرئيس الكتب و النشر بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٦٩

